المحاضرة الثانية

اللغة العربية
في مواجهة اللغات الأجنبية

الأستاذ أنور الجندي

السبت 28 رجب 1407 هـ / 28 آذار 1987 م

بسم الله الرحمن الرحيم

أرجو أن أتناول هذا الموضوع الخطر من وجهة نظر باحث إسلامي يؤمن بإقامة منهججامع للفكر الإسلامي ومن خلال إيمان صادق بأن اللغة العربية مستهدفة من جهة القرآنوالوحدة الإسلامية. وفي الحق إن كلمة المواجهة كلمة رقيقة لا تمثل الصدام الذي وقعفعلاً بين العربية واللغات الأجنبية.

لقد بدأت (المواجهة)، بين اللغة العربية وبين اللغات الأجنبية منذ اليوم الأول لدخولالنفوذ الأجنبي إلى قلب الأمة الإسلامية ، وكان تركيز التغريب والغزو الثقافي على اللغةالعربية بالغ الدقة من حيث إنه المفتاح لكل حرب توجَّه نحو العقيدة أو الفكر أو التراثأو التاريخ أو القرآن نفسه. فقد كان دعاة التغريب في مخططاتهم يعرفون مدى ارتباطاللغة العربية الفصحى بانتشار الدعوة الإسلامية ومدى ارتباط جماعة المسلمين (خارجنطاق البلاد العربية) باللغة العربية بوصفها لغة عقيدة وفكر وثقافة، يجب أن تكون تاليةللغة البلاد الأصلية، بل لقد كانت لغات الترك والفرس والملايو والاوردو تكتب جميعهابالحروف العربية.

ولقد كان تركيز النفوذ الأجنبي على اللغة العربية هو بمثابة الحرب على القرآن الكريمنفسه فلأنه إذا نزلت اللغة إلى مستوى في البيان هابط واستمرت على ذلك التنازل جاءاليوم الذي يبدو فيه بيان القرآن وكأنه مختلف وغامض لارتفاعه عن مستوى اللغة العامةوعند ذلك ينفصل القرآن عن لغة الكتابة ويقرأ بقاموس ويتحقق هدف النفوذ الأجنبي بعزلالقرآن عن اللغة العربية لا قدر الله.

إن من يراجع الوثائق التي بدأت بها عملية الاحتلال البريطاني لمصر يجد أن أولأعمال الاحتلال هي وضع الخطة لحطم اللغة ، ويبدو ذلك واضحاً في تقرير لورد دوفرينعام 1882، حين قال: "إن أمل التقدم ضعيف (في مصر) طالما أن العامة تتعلم اللغة

الفصيحة العربية ـ لغة القرآن ـ كما في الوقت الحاضر" وحين تحدثت التقارير عن الأزهر وضرورة تطويره تبين المخطط التغريبي كاملاً، فقد كان القرآن والإسلام هماالهدف، وقد توالت هذه الحرب ، ليس في مصر وحدها بل في الشام والمغرب بأقطارهكلها في محاولات قدمها

كرومبر وبلنت من ناحية، ولويس ماسينون وكولان في المغرب ، ثم تقدم رجال يحملون أسماء عربية بعد أن مهد لهم الطريق ويلكوكس، والقاضي ويلمور،
تقدموا للعمل، وحيل بين اللغة العربية وبين أحكام المحاكم المختلطة والأجنبية ، وكانالتعليم في البلاد العربية المحتلة يتم كله باللغة الأجنبية (الإنجليزية في مصر والسودانوالعرا ق) والفرنسية في (سوريا وتونس والجزائر والمغرب) فقد كانت خطة النفوذ الأجنبي ترمي إلى:

أولا: تقديم اللغات الأجنبية في الأقطار الإسلامية على اللغة العربية.
ثانيا: تقديم اللهجات واللغات المحلية وتشجيعها والدعوة إلى كتابة اللغة العربيةبالحروف اللاتينية.
ثالثا: ابتعاث أبناء المسلمين إلى الغرب لدراسة لغاته وكان ذلك إيماناً بأن اللغة هيالوجه الثاني للفكر وأن من يجيد لغة أمة لا بد أن يعجب بتاريخها وفكرها ويصير له انتماءمن نوع ما إلى هذه الأمة. وكانت الحملة على اللغة العربية الفصحى تنطلق من خلالحجج ضعيفة واهية منها:
صعوبة اللغة،ومنها التفاوت بينها وبين العامية.

وانطلقت في ظل هذا التيار التغريبي الشديد الخطورة: تلك الكلمة المسمومة التيتقول: إن اللغة العربية لغتنا وهي ملك لنا ومن حقنا أن نتصرف فيها.

كيف يحق لنا (حتى لو كنا كل العرب)، أن نتصرف في لغة الثقافة والعقيدة والإيمانلألف مليون من المسلمين.

لقد رافق التنافس بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية على أفق الثقافة الإسلامية مخططخطير كان يعمل على بث الثقافة الغربية وحجب مفاهيم الفكر الإسلامي من خلالالنفوذ الاستعماري الذي فرض على التعليم لغته ومناهجه وعلومه التي تختلف اختلافا بيّناً عن علوم الإسلام. سواء في مجال التربية أو النفس والأخلاقأو الاجتماع ومن ثم برزتأجيال من المثقفين لهم طابع غربي ينظرون بتقدير عجيب للغرب وتاريخه وأعلامه ويزدرونتاريخ أمتهم وقيم فكرهم وهم لم يقرأوه إلا عن طريق الاستشراق والتبشير وكان فرضاللغات الأجنبية في مختلف أقطار الأمة الاسلامية عاملاً هاماً في فرض ثقافاتها ووجهةنظر أهلها وفي الوقوف موقف الإعجاب بالغاصب والعجز عن مواجهته.

ومن يدرس تجارب التعليم الغربي في البلاد العربية (وهو غير التعليم التبشيري) يجد الولاء الواضح للنفوذ الغربي ، بينما ا نحصر ت الثقافة الاسلامية في الأزهر والزيتونة والقرويين في تحفيظ القرآن دون أن يكون لأصحابها أثر واضح في حركة الحياة الاجتماعية ، رغبة في عزلهم عن التوجيه ، ولم يخل الأمر من محاولا ت تطوير هذ ه المعاهد على نحو يفرغها من رصيدها الإسلامي القائم على الأصالة والحفاظ على الذاتية الاسلامية من الانصهار أو الذوبان في بوتقة الحضارة الغربية ومن خلال هذه التبعية الثقافية للغات ال غربية كان الأثر البعيد في تبني مناهج الغرب في دراسة اللغة العربية والقرآن وتاريخ الإسلام وفق مناهج التفسير المادي للتاريخ وهي مناهج لا تعترف بالوحي والنبوة أو الغيب.

وقد قامت عليها دراسات كان لها شهرتها البعيدة ، ولكن اليقظة الإسلامية استطاعت أن تكشف قصورها وعجزها عن العطاء الأصيل. إن من يتابع اقتحام اللغات الأجنبية للغة العربية في مهدها وأرضها ليجدُ صورةً مريرة حيث يتعقب النفوذُ الأجنبي اللغةَ العربية الفصحى في إصرار وموالاة، ويطاردها حتى لا يدعها تلتقط أنفاسها، وهو حين يطاردها يحس بالانتقام من شيء أبعد من اللغة العربية، من القرآن الكريم ونفوذ الإسلام الذي
يتنامى في المناطق التي بدأ يسيطر عليها ، ففي إفريقيا حيث تعمل البعثات التبشيرية من أجل معارضة نمو الإسلام توجه إلى اللغة العربية أكبر قدر من المقاومة والحرب فقد كانت لغة العرب لها السيادة في مختلف اقطار افريقيا قبل أن يعمد الاستعمار إلى زحزحتها عن مكانها وإعلاء لغاته الغربية ولهجات أفريقيا الساذجة، فقد جعل الاستعمار اللغة العربية كبرى فرائسه حتى فصل بين نمو الاسلام وامتداده وبين لغة القرآن الكريم،
لقد كان للغة العربية الحظ الأوفى في الانبثاث في اللهجات الصومالية - والزنجبارية: أولاً لرجوع الصلة بين شرق إفريقيا وجزيرة العرب إلى أقدم عصور التاريخ وهو ما يتبين مثلاً من وجود كلمة (باريهو) منقوشة على جدران الدير البحري بطيبة. وثانياً لتغلغل اللغة العربية في اللهجات الصومالية والزنجبارية الذي يرجع إلى أن أهل الصومال وزنجبار كانوا على أثر شيوع الإسلام بينهم في عهد بني أمية وهجرة الزيديين إلى تلك الأصقاع في حاجة إلى تفهم معاني القرآن والأحاديث وأقوال الأئمة،على أن رطانتهم بلهجاتهم تلك ظلت على الرغم من توفرهم على درس اللغة العربية غالبة على ألسنتهم ففشا بينهم -لجمعهم بينها وبين اللغة العربية - لحن جديد عرف في شمال خط الاستواء باللغة الصومالية وفي جنوبه باللغة السواحيلية وصارت كلتاهما من ناحية تأثير اللغة العربية فيها مزيجاً من كلمات زنجية بحتة.وقد طرأ التشويه والتحريف على اللغة

السواحيلية باستيلاء البرتغاليين على حوض المحيط الهادي وسواحل شرق افريقيا، وقد عمد الاستعمار البريطاني إلى إحلال اللغة الانجليزية محل اللغة السواحيلية في زنجبار وكينيا وتنجانيقا وأوغندا ، وكذلك محل اللغة العربية أيضاً.

وقد أشار باحثون كثيرون الى عمق الخطة التي اصطنعها الاستعمار الفرنسي في المناطق التي احتلها من أفريقيا فقد كان يحاول أن يبث في عقول الاطفال أنهم من الغال الفرنسي فيقول (البير تيفود) لقد ضحكنا كثيرا عندما كنا نسمع ونحن أطفال أن أجدادنا غاليون.وقد فرضت فرنسا على الطلاب أن يَعُدّوا الفرنسية لغتهم القومية، أما في ساحل العاج فقد كانت الأوامر تقضي بمنع التلاميذ من استعمال لغتهم الأم منعاً باتاً بينما كانوا
لا يفهمون كلمة واحدة من الفرنسية، وكانت تفرض العقوبات على المتمردين الذين لايستطيعون أن ينصهروا في البوتقة. وفي نيجيريا كان الإنجليز قد حالوا بين المسلمين والتعليم وكانوا يشترطون أن يغيّر المسلم اسمه إلى اسم لاتيني ويحضر الصلوات في الكنيسة ويدرس التاريخ الاستعماري كما عمدوا إلى نقل حروف اللغات المحلية من العربية إلى الحروف اللاتينية فضلاً عن عملية القضاء على التراث الاسلامي التي تعرضت للحريق،للقضاء على كل أثر علمي عربي بعد قطع التيار الحضاري العربي القادم من شمال أفريقيا ومصر.

وفي غرب أفريقيا عمد الاستعمار الفرنسي إلى القضاء على اللغة العربية بعد معركته مع اللغة العربية في الجزائر خلال مئة عام كاملة، وقد جاء هذا كله بعد أن بلغت اللغة العربية كل وصف حتى أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة كما أثار إلى ذلك (توماس أرنولد) في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) وبعد أن كانت بعوث أفريقيا ترسل إلى مكة والأزهر أصبحت ترسل إلى الغرب.

وبعد أن كانت اللغة العربية قد شاركت بحروفها وألفاظها في كل اللغات الأساسية في أفريقيا وهي الهوسا والماندنجو والوولوف والسواحلية والصومالية ولغات النيجر والدناكل في أثيوبيا وأريتريا، عمد النفوذ الأجنبي الى إيقاف كل ذلك واحياء الثقافات الأفريقية القديمة،وصبغها بصبغة قبلية إقليمية تساعد على إثارة التعصب وإقامة القوميات المحدودة المحلية في نطاق قبلي، ليستغلوا هذه الروح في إقامة سد مرتفع في وجه انتشار اللغة العربية مع نشر الثقافة الإنجليزية والفرنسية من خلال اللغتين لتحقيق الاستعمار الثقافي الكامل.

وهكذا أصبحت اللغتان الانجليزية والفرنسية - كل في المنطقة المسيطرة - لغة أساسيةفي كل مراحل التعليم وغُلبت اللهجات القومية ولغة المستعمر - ليس على مناهج التعليمفحسب - بل على أعمال المصارف والدواوين. وقد أشار إلى ذلك المبشّر زويمر حينقال: يوجد في أفريقيا لسانان لهما النصيب الأوفر في ميدان الاستعمار المادي وفيمجال الدعوة إلى الله وهما الإنجليزي والعربي وهما الآن في مسابقة وعناد لا نهاية لهما
لفتح القارة السوداء مستودع القوة والمال ، ويريد أن يلتهم كل منهما الآخر ،وهماالمعضدان للقوتين المتنافستين، في طلب السيادة على العالم البشري: أعني النصرانيةوالإسلام.

وفي هذه الجولة استطاعت اللغات الأجنبية كَسْبَ قَصَبِ السَّبق ولكن ليست هذههي نهاية المباراة.

وفي جنوب شرق آسيا (في الملايو وأندونيسياو تايلاند وغيرها)، لا تختلف الصورة كثيراً عن هذا النموذج الأفريقي، حيث استطاعت اللغات الأجنبية السيطرة وتراجعت اللغةالعربية ثم الحروف العربية أيضاً في تركيا واندونيسيا.

لقد تنامي أمر اللغة الانجليزية في العقود الأخيرة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانيةنتيجة لتوسع نفوذ الغرب واللغة الإنجليزية الأمريكية في مناطق الإسلام على النحو الذيحجب اللغة العربية عن مناطق كثيرة وأعجز المسلمين في أفريقيا وجنوب شرق آسيا منالتزود بالتراث الإسلامي أو الوصول إلى "تصور" لمفهوم الإسلام الصحيح نتيجة لقلبالثقافات الغربية، وسعى التبشير السعي الحثيث في كلا المنطقتين لتوزيع الكتابالمقدس و دراسات الغرب التي تقوم على أساس دقيق من الفكر المسيحي .

وبالجملة فقد طاردت اللغتان الفرنسية والإنجليزية لغتنا العربية في مختلف أنحاء العالم

الاسلامي،وانتشرت على حسابها فقد كان من الطبيعي على حسب سنة التطور أن تسير اللغة العربية في ركاب الإسلام أينما حل، ولكن النفوذ الأجنبي خلال أكثر من قرنين من الزمان استطاع أن يوقف نمو اللغة العربية في بلادها وامتدادها في البلاد التي انتشر فيها الإسلام، بل إنه عمد إلى لغاتها التي كانت تكتب بالحروف العربية فغيرها إلى الحروف اللاتينية، ومن ثم فقد أحس المسلمون في هذه البلاد ولا يزالون بنقص كبير من حيث إنهم يتعلمون الإسلام دون أن تتيسر لهم من أسباب اللغة العربية ما يعينهم على فهم القرآن الكريم والسنة المطهرة.

* * * * *

وفي أندونيسيا وأرخبيل الملايو تجد الصورة قاتمة، فقد تعرضت أندونيسيا بعد الاستقلال للتحديات في مجال اللغة فكتبت اللغة الأندونيسية بالخط الروماني بدلاً من الخط العربي المحلي، وقد فرضت لغة جديدة بخط جديد حتى صارت اللغة الأندونيسية بالخط الروماني لغة أجنبية لا يقرؤون ولا يكتبون بها رغم توجه أكبر عدد من الأندونيسيين إلى المدارس والجامعات في الخارج؛وأصبح العدد الأكبر قادراً على أن يقرأ اللغات الغربية وخاصة الانجليزية ، أما اللغة الاندونيسية الجديدة فقد صبغت في قالب الثقافة الغربية على حد تعبير السيدة مريم جميلة التي تقول إن الصحف لا تنقل المصطلحات والكلمات الانجليزية وحدها وإنما تعدّى تأثيرها إلى المجلات الإسلامية الدينية التي تكافح للاحتفاظ بحرية العقيدة ولحنها لا تستطيع ولا تقدر أن تكافح الاتجاه اللغوي.

ويدرك الشباب المسلم في أندونيسيا بأن هذا التغريب اللغوي يجعل المسلمين في أندونيسيا منعزلين لغوياً عن الدول الإسلامية الاخرى.

<<إيقاف اللغة العربية>>

هذا عنوان المخطط، ولقد جاء هذا الإيقاف عن طريق القسر والتحدي وبفعل عوامل غير طبيعية أقامت السدود أمام نمو اللغة المربية وسيرها مع الإسلام في خط واحد،وخاصة في المناطق التي اتسع فيها نطاق الإسلام من قبل،ولولا هذه المحاولات التي

تقودها قوى التبشير العالمية والتي تفرِضُ على مناهج التعليم في تلك البلاد لغات أجنبيةولهجاتٍ عاميةً لما استطاعت قوة أن تحول بين العربية الفصحى ومسايرة الإسلام لإنهااللغة التي تحمل القرآن دستور الإسلام ومنهجه الاجتماعي والفكري وتحمل السنة والفقهوالتراث.

واليوم وفي كثير من البلاد التي تحررت من نفوذ الاستعمار لا يزال النفوذ الفكري يزيّنلإهلها ويغريها بمدارس تقوم دراساتها وبرامجها على اللغات الاجنبية ، فضلاً عن المدارسالجديدة التي يسمونها مدارس اللغات. وكذلك الأمر في معاهد الألسن التي لا تقومبرامجها على اعتبار اللغة العربية هي الأساس، فالمفروض أن تكون كل اللغات التيتعلمها العربي أو المسلم خادمة للفكر الإسلامي،وإنما تقوم معاهد الألسن على فلسفة مغرقة في التبعية والولاء الأجنبي ويطمع المشتركون فيها أن تحتضنهم الدول الأجنبية فيمناصب وأوضاع متميزة يخدمون فيها خصوم أمتهم .ولا يفوتنا أن نثني على الجهود التيتقوم بها أهل الغيرة في بناء المدارس الإسلامية والعربية في كل بلاد العرب والإسلاملحماية النشء، من أخطار مناهج التبشير والتغريب.

ولكن هل توقف المسلمون والعرب عن المقاومة!

الحق أنهم لم يتوقفوا وما زالوا يجاهدون ويقاومون ما وسعهم الجهد والمقاومة، فما زالالبعثات التي تفد إلى الأزهر الشريف والعواصم العربية تعود وقد أعدت لعمل لواء البيانالعربي وتدريس المواد الاسلامية، وتنقية اللسان القومي من العجمة والاقتراب من الأصالةعلى نحو واسع لا تقطعه إلاالمؤامرات النفوذ الأجنبي التي لا تكف للحيلولة دون بلوغ الغاية.

* * * * *

بقي بعد ذلك أن نعرض للشبهات التي طرحت في أفق اللغة العربية من أجل خلقروح الكراهية لها بين أهلها وهي شبهات تصدى لها الكثيرون وكشف زيفها الأبرارُ منذوي الغيرة والإخلاص:

(أولا)إن تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية، هو دعوة مريبةترمي إلى التحلل منالفصحى خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد،فإذا تحللنا من هذه القوانين والأصول

التي صارت لغتنا خلال هذه القرون المتطاولة أدى بها ذلك إلى فساد الألسنة واتساع رقعة الاختلاف بين الأقطار العربية حتى تصبح عربية الغد شيئاً يختلف كل الاختلاف عن عربية القرن الأول، وتصبح قراءة القرآن الكريم والتراث العربي الإسلامي كله متعذرة على غير المتخصصين من دارسي الآثار ومفسري الطلاسم.

وقد كان تطور اللغات الأوربية نكبة على أصحابه قطعهم أمماً بعد أن كانوا أمة واحدة فما زالوا في خلاف وحروب. ثم أنه لم يحكم على تراثهم القديم المشترك وحده بالموت بل هو لا يزال يقضي بين الحين والحين على التراث القومي لكل شعب من هذه الشعوب بالموت حتى ما يستطيع الإنجليزي اليوم من عامة الشعب أن يفهم لغة شكسبير الذي مات في القرن السابع عشر، أما نحن العرب فإننا نقرأ القرآن ونفهم رسائل الجاحظ فلا نكاد نحس فارقاً بين أسلوبه وأسلوب المعاصرين.

(ثانيا) هناك معركة العامية التي دعا إليها بعض الشعوبيين في إحدى البلاد العربية بقصد القضاء على وحدة الأمة تحت لواء الفصحى وهي الدعوة التي أفرزت شعر التفعيلة ونظرية الحداثة وإسقاط القافية، وهي معركة خاسرة قد ثبت أن الفصحى اطوع في التعبير من العاميات كذلك فنحن لسنا في حاجة الى لغة دارجة كحلقة وسط بين العامية والفصحى وأخطر ما في هذا الاتجاه تبني اللهجات الدارجة والمحكية للمسرحيات والتمثيليات وما يسمى الأدب الشعبي.

كذلك فان الفجوة بين الفصحى واللهجة العامية ليست بهذه الصورة التي يحاول اعداء اللغة اظهارها وان الخلاف بين عبارة الكتاب العلماء وبين عبارة العامة أمر مألوف في كل امة وفي كل لغة حية.

(ثالثا) الهجوم على الحروف العربية بينما تبين بشهادة المثقفين أن هذه الحروف هي أصلح حروف الابجديات قاطبة لكتابة الالفاظ ومن اكثرها دقة في ضبط الاصوات. وقد استطاعت ان تؤدي من أنواع الكتابة ما لم تستطع أبجدية اخرى تؤديه، فقد استطاعت الحروف العربية ان تكتب لهذه اللغات جميعا دون تعديل او تغيير او اضافة في اشكالها ولقد انخدع الذين دعوا الى الكتابة العربية بالحروف اللاتينية كما حدث في تركيا غير مقدرين الفارق بين اللغتين وكذلك لم يلتفتوا الى اختلاف العربية عن اللاتينية وما تفرعت إليه من لغات، وقد فاتهم أن اللغة العربية

تعبر عن فكرة وثقافة ممتدة لامة واحدة من تاريخها البعيد الى حاضرها المشرق، ماتزال مفعمة بالحياة والقوة ، وان تطورها و تفاعلها لم يتوقف ، وهي لغة أمة واحدةا رتبطت بالتاريخ والعواطف والفكر والقيم والمصير اوثق ارتباط، وفوق ذلك فهي لغةالقران أساس الحضارة والفكر والثقافة العربية الاسلامية. اما اللغة اللاتينية فلم تكن لغة الغرب كله ولم تستطع التغلب على اليونانية فضلاً عن أنها كانت لغةارستقراطية لم تتغلغل في حياة العامة.

(رابعا)محاولة تطبيق مناهج اللغة الاوروبية على اللغة العربية ودراسة اللهجات العامية ولماكان المنهج الوضعي الحديث يجعل اساسه في دراسة اللغة هو دراسة اللهجاتوا لتركيز على الكلام المنطوق دون المكتوب، فان الهدف هنا صرف الانظار عنعلاقة اللغة بالدين في سبيل احياء القوميات الحديثة في الغرب ،واذا كان الاوربيونقد فرقوا بين اللغة المستعملة في النصوص المقدسة والطقوس وبين اللغة التي يتكلمبها الناس في حياتهم اليومية ومصالحهم الخاصة فان الفصحى ليست هي اللغةاللاهوتية أو لغة العبادة فحسب و لكنها تجمع بين الغرضين ، كذلك فقد جمعتاللغة العربية بين الأسلوب الديني والأسلوب العلمي، وعبارة لغة الدين عبارة كهنوتيةلا تنطبق على العربية وهي مرتبطة بالمسيحية في الغرب.

ومن هنا فانه يلزم انيكون لنا موقف إزاء نظريات علم الاصوات الحديثة فلاناخذها قضية مسلمة ، فان العلوم الانسانية الغربية الواحدة تختلف اختلافا واسعاعن مفهوم العلوم الاسلامية، وقد درسنا هذا بافاضة في الملتقى الاسلاميبالجزائر في الشهر الماضي، كذلك فان هناك اختلافاًواسعاً من حيث المضمونوالتاريخ والظروف بين اللغة العربية واللغات الغربية وما ينطبق على هذه اللغة ليسبالضرورة صالحاً للتطبيق على العربية التي تميزت بارتباطها بالقرآن الكريم الذيحماها من عملية الانهيار التي تتم في الغرب كل ثلاثة قرون، ونحن نطالب بنظريةخاصة لدراسة اللغة العربية من حيث اتصالها بالقرآن وخلوها واستمرارها حتىالآن ، ونحن نرفض تطبيق مفاهيم اللغات الأوروبية على اللغة العربية لأسباب علميةبحتة. ويجب أن يكون واضحا ان اللغة العربية هي مفتاح فهم الاسلام والاحاطة بهوبدونها لا تحقق معالمه ولا تجلى للناس حقائقه و تعاليمه، وهذا سر الحملة عليها

وقد قبلت اليابان بكل شروط المحتل الأمريكي بعد الهزيمة ما عدا شرطا واحدا هوقبول ادخال بعض التعديلات على اللغة اليابانية حيث كان الأمريكيون يريدون أن ينتزعوا منها بعض مقوماتها.

****

وم ن هنا فنحن مطالبون بقدر أكبر من الوعي واليقظة ازاء مؤامرة احتواء اللغة العربيةوتفريغها من مقوماتها بعد مؤامرة حبسها عن النماء والانتشار في العالم الاسلامي.

وأخطر ما ن دعو اليه هو القدرة على التحرر من سيطرة اللغات الاجنبية على اللسانالعربي وضرورة تعريب التعليم كنقطة انطلا قالى الاصالةو ايمانا بأن لغة القرآن هي لغةالحياة وانها ليست لغة أثرية بل لغة متجددة وقادرة على ا ستيعاب متغيرات العصرو حقائقه، وقد ظل التعليم في القصر العيني سبعين سنة باللغة العربية حتى احتلت مصر ، وامامنا تجربة كلية الطب في دمشق.

كذلك فنحن ننبه إلى ضرورة تعلم اللغات الاجنبية في إطار اللغة الأم حتى لا تعطىاللغة الجديدة ولاء معارضاًللولاءالاصيل، فقد حَرَصَ النفوذُ الأجنبي أن ينقل فكره عنطريق لغته وان يحقق لها ولاء في نفوس وعقول أبناءالأمة الواقعة تحت سيطرته.

كذلك فنحن مطالبون بأن نحمي لغتنا من اقتحام الفاظ اللغات الأجنبية عليها فانذلك يجعلها مهلهلة خالية من جمال صنعتها الفريدة ونسيجها المنسجم ، فالاسراف فياستخدام الدخيل من اللغات الاخرى له محاذيره التي يعرفها شيوخ اللغة، كذلك نحذرمن خطر الدعوة إلى إسقاط حركات الاعراب.

كذلك فنحن لا نقبل الواقع الذي تدنت له الفصحى اليوم عن طريق الصحافةوالتلفزيون والمسرح ولكنا يجب أن نعمل على التسامي بلغة الحوار حتى تقترب دائما منبيان القرآن لا تنفك عنه.

ومن الضروري حماية (الجملة القرآنية) التي دعا العلامة مصطفي صاد ق الرافعي التجاوزها لينال الشهرة الضخمة والمكانة العليا.

واذا كان لنا أن نأخذ من الغرب فلنأخذ قول الفرنسيين إنّ اللغة هي الجنسية، وفي ألمانيا إن اللغة مادة المواد والمادة العليا لانها يتصل بها كل الفكر، ولم نسمع في الغرب

من يقول قولة الظالمين إن اللغة مجرد أداة وانها أداة غير طيعة ولا صالحة. انهم يريدون محو اللغة العربية ، وهدم أصالتها الاسلامية ولقد كان عليّ أن أتحدث عن عظمة اللغة العربية واتساعها وتعدد معانيها وقد أمكن حصر ماءة الف مادة من كلامها، وا سرد على مسامعكم تقدير باحثين أجانب نختلف معهم في كل شيء لهذه اللغة، لا أحدثكم عن مئات المصطلحات العربية في اللغات الأوروبية، ولكني التزم بموضوع المحاضرات وأرجو أن أكون قد وفقت إلى تجلية القضية.

واحذر من مراكز تعليم اللغة العربية في جامعات فرنسا وبريطانيا وبرلين وغيرها فان الذين ذهبوا اليها شهدوا بأنها تنفر أبناء المسلمين غير العرب من تعليم العربية وتردد قول المستشرقين والمبشرين في اتهامها بالجمود والعقم وبأنها لغة لا تصلح للحياة الا لمجتمع بدوي وانها لا تساير الحياة الحضارية.

****

والحق أن حرب اللغة العربية هي حرب للإسلام والقرآن.

لأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي احتفظ بلغته الأصلية وحفظها من عوادي الفناء وسيحفظها على مر الدهور وستموت اللغات الحية المنتشرة في العالم اليوم كما ماتت لغات حية كثيرة في سالف العصور. أما العربية فستبقى بمنجاة من الموت وستبقى حية في كل زمان مخالفة للنواميس الطبيعية التي تسري على سائر لغات البشر ولا غرو فهي متصلة بالمعجزة القرآنية الأبدية، فالقرآن هو الحصن الحصين الذي تحيا به اللغة العربية وتقاوم أعاصير الزمن وعواصف السياسة المعادية ووسائطها الهدامة،

والله ولي التوفيق .